لما عصب امير المومنين على عماله من الكتاب وغيرهم واحاط على اموالهم وحبسهم وكانوا جمعا كثيرا
ومرض المرض الذي مات فيه طلب القاضي احمد فلما حضر قال له عن الصدقات والقربات التي يتقرب
بها الى الله تعالى وساله ما يفعل فقال له يا امير المومنين ان في حبسك اقواما من عمالك وكتابك
ولهم عيال واطفال اعينهم باكية واكبادهم جائعة وقلوبهم سائلة وايديهم مبسوطة يدعون
عليكم فلو ان امير المومنين يامر باطلاقهم ويكون ذلك من القربات الى الله تعالى قال قد فعلت
قال يا امير المومنين ان في بيت المال من ارزاقهم وقماشهم واموالهم ما لا حاجة لبيت المال به
ولا يحتاج اليه فلو ان امير المومنين يتصدق عليهم به قال قد فعلت قال يا امير المومنين
ان قلوبهم منكسرة وكانت لهم ارزاق وهم عمالك فلو ان امير المومنين يتصدق عليهم باجراء
ارزاقهم فعل قال قد فعلت قال يا امير المومنين ان الناس قد علموا غضبك عليهم ولم يعلموا رضاك
عليهم فلو ان امير المومنين جبرهم بخلع يخلع عليهم ليرى الناس منهم ما كان قد حصل لهم ويحصل السوا
لامير المومنين قال قد فعلت قال فاكتب خطك فقال اكتب عني فاني لا اقدر اكتب قال
يا امير المومنين انا احملك في صدري فحمله واخذ القلم وجعل يد امير المومنين فوق يده وهو
يكتب حتى كتب حتى تم جميع ذلك ثم اخذ المرسوم وخرج فوجد الافشين في الطريق فقال له
هذا خط امير المومنين باطلاقهم واموالهم وارزاقهم والخلع عليهم فقال حتى اشاور امير المومنين
فقال المرسوم معي ان لا افارقك حتى وجدته حتى يفعل فلم يفارقه حتى فعل جميع ذلك فاصبح
القوم وهم بعد ما كانوا فيه قد خلع عليهم ان لا يعلموا فهكذا يكون اهل العلم والحكماء
اذا صحبوا مثل هذه المناصب الدينية يتصرفون فيما هو الانفع للمسلمين فان هذا الوقائع
ممن جلس من القضاة يغوص والفقهاء يصرفون ويخرسون من مجروحه شرعي ولا ليس على واحد منهم
شيء والمصيبة ان ذلك بسبب النصارى في الفقهاء من الصلحاء وقراء القرآن فامد يدعو عليهم ولا قادر
ويرهم حتى يجد الظالم حجة بان يقول ما فعلت الا والقاضي حاضر فلا حول ولا قوة الا بالله
ومن العزمات الصحيحة عزيمة عبد العزيز المكي حين سمع ان بشر المريسي يقول بخلق القرآن بعدما
وانه استولى على المامون واستماله الى ذلك قال فخرجت ماشيا من مكة المشرفة شرفها الله تعالى
وعظمها ومعي ولدي حتى وصلت الى بغداد فوافيت صلاة الجمعة وامير المومنين بالجامع فقلت
لولدي اذا فرغ الناس من الصلاة قف عند تلك السارية من سواري الجامع وقل يا عبد العزيز
المكي ما تقول في القرآن قال فلما فرغت الصلاة قام ولدي وقال يا عبد العزيز المكي ما تقول
في القرآن فقلت كلام الله منزل غير مخلوق قال فهجم الناس من الجامع على بعضهم بعضا ولم ادر
بنفسي الا وانا مسحوب على وجهي حتى جاءوا بي بين امير المومنين وجعلوني في الاغلال والقيود
وقالوا يا مخالف مذهب امير المومنين وجعلوا يخيفونه تارة وتارة يرجونه ويوعدونه بالاحسان من امير
المومنين والعطا والمنزلة عنده اذا وقف على مذهبه وعبد العزيز على حاله وطلب ان يعقد له
مجلسا مع بشر المريسي قال فبينما هو على تلك الحال واذا بالامير الذي عنده قد طلبه وقال له
يا عبد العزيز اعلم الله ان هذا الذي اراح الله امير المومنين وهو يخلق ومثلك وهو لبشر فان

كتب على الحق فلنت ولا يخف الا الله تعالى فانك سترى هولا عظيما قال وقلت العود علي وحملوني
الى دار الخلافة قال فلما رفع الستر عن الابواب رايت امرا عظيما واذا في قاعة الايوان بكماله قد سيف
مشهورة وقد برقت عليهم الشمس وهم وقوف بين يدي امير المومنين المامون والناس سكوت
لا يستطيعون نطقا فقال ادنوه فقربوني وهو يسير الى ان اقرب فقربوني الى ان وقفت بين يديه وهو
على الكرسي فقلت السلام عليك يا امير المومنين فقال ورحمة الله وبركاته فقال لي السلام عليك
ورحمة الله وبركاته ثم سكت هنيهة ليسكن بذلك روعي ثم امر بالجلوس فجلست فقال لي من الرجل
فقلت من مكة فقال تعرف كذا تعرف كذا اتعرف بني فلان تعرف بني فلان وجعل يعد علي
بيوت اهل مكة ليونسني بذلك حتى يسكن روعي وحرصت على مكالمته فقال لي يا عبد العزيز اعلم
انك ان هذا بشر المريسي وانت ولسنا نقصد في غير الحق فان يكن الحق معك وان يكن الحق
معه كنا معه فلا تسوي في نفسك شيء ولا تخف من شيء وها انا اسمع لكما فقلت يا امير المومنين تكن حكما
بيني وبينه قال نعم قلت يا بشر بماذا تريد ان احاجك او اخاطبك بالمعقول او بالمنقول فقال
بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقلت يا امير المومنين اشهد لي على بشر ثم قلت له
ماذا تدل على ان القرآن مخلوق فقال قوله تعالى الله خالق كل شيء والقرآن شيء وكل يقتضي العموم
فقلت له فقد قال الله تعالى يخبر عن بلقيس واوتيت من كل شيء وقد كان ملك سليمان عليه السلام اعظم
من ملكها بكثير ولم يكونوا منه ذرة فلو كانت كل تقتضي العموم كان لها من ملك سليمان عليه السلام شيء
فقال وقوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين والجعل هو الخلق فقلت يا امير المومنين اشهد على بشر بانه جعل
الله تبارك وتعالى شيئا فان الله تعالى يقول ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون فلو كان الجعل هو
الجعل والجعل هو الخلق لكانوا خالقين لله البنات فجعل بشر يحيد عن الجواب وموضع الدليل على بشر عندي
في قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم فلو كان معنى ولا تخلقوا الله وهذا من المحال
وعلى الجملة فقد قطعه عبد العزيز ورجع امير المومنين الى عبد العزيز واكرمه واحسن اليه وصنف
في ذلك كتابا وسماه الحيدة مشهور مطلب هناك وانما ذكرنا عبد العزيز لمكان عزمته في الله تعالى
وقيامه بالغيرة في دينه وتعريضه نفسه في المهالك ومشيه من مكة الى بغداد حتى يظهر
دين الله تعالى مع ضعفه ووحدته وغربته وبقاوم الخليفة وبشر المريسي وهو من اولياء الخليفة
فاضطر الى نفسه باولي وشر حيد في الله تعالى على قدر رخصات لاجل الله تعالى وعزم قد فيه ولقد حكي
عن الامير شمس الدين الحلبي حكاية اعجبني منه في قوة عزمه وشدته في دين الله تعالى بين اعداء الله
تعالى وهو وحده قال لما ارسلني السلطان الملك الظاهر رحمه الله تعالى الى بركة ملك التتار بعوقه
الاسكري عنده مدة ربما قال سنة قال فبينما انا ذات يوم جالس واذا بانسان من الافرنج العلوج
الذين يكونون بين يدي حاكمهم الذي يشرع لهم تعالى فتكلم وذكر اسم الذي يحكم بينهم وعاد على اسمه
فقمت وجبت احده جالسا والى جانبه الجمع يجمع من الكفار في دينهم وعلمائهم والى جانبه الشمال اخر فادعى
على انسان ما اعرفه ولا رايته قط بلسانه دينار او قال بستمائة دينار فقلت ما يستحق علي حقا
فقال حاكمهم يحلف ويعطيه فقلت له والله ما احلف هذا على الرمل الا ان كان له بينة تشهد علي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)